

منهج السنة النبوية في التعامل مع الأمراض والأوبئة

إعداد

د . شريف عبد العليم محمود

د . سـ لـ وـ اـ شـ رـ يـ تـ شـ

أستاذًا التفسير وعلوم القرآن المشاركان

كلية الدراسات الإسلامية - جامعة الوصل - الإمارات العربية المتحدة



موجز عن البحث

تهدف الدراسة إلى إبراز منهج السنة النبوية في التعامل مع الأمراض والأوبئة؛ لأن المحافظة على الصحة ووقايتها من الأمراض والأوبئة هو المقصد الأسمى للشرع الشريف.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على: المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، وذلك من خلال تتبع النصوص النبوية التي تعنى بالأمراض والأوبئة، ودراستها، واستخلاص المنهج النبوي في التعامل معها.

وتألف هذه الدراسة من ثلاثة مطالب، وخاتمة، أما المطلب الأول: فيتناول التعريف بالأمراض والأوبئة، وأسباب انتشارها، وآثارها، وبعض الحِكم منها، وأما المطلب الثاني: فيتناول بيان المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة قبل وقوعها. وأما المطلب الثالث: فيتناول بيان المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة بعد وقوعها، والخاتمة: تشتمل على أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: منهج، السنة النبوية، الأمراض، الأوبئة.

Approach To The Prophetic Sunnah In Dealing With Diseases And Epidemics

* **Sherif Abdel Alim Mahmoud**

Soror Echrich

Department of Islamic Studies, College of Islamic Studies, Al Wasl University, United Arab Emirates

* **Corresponding Author E-mail : alaam772003@gmail.com**

Abstract :

The study aims to highlight the Sunnah approach in dealing with diseases and epidemics. This is because preserving health and protecting it from diseases and pandemics is the supreme purpose of the honorable Sharia.

The study relied on: The inductive, analytical, and deductive approach, by tracing the prophetic texts that deal with diseases and pandemics, studying them, and extracting the prophetic approach in dealing with them.

The study consisted of three demands and the final. The first demand: deals with the definition of diseases and pandemics, and reasons for outbreaks, and their health impacts, and some wisdom of them. The second demand: deals with the statement of the approach of the Prophet in dealing with diseases and pandemics before they occur. The Third demand: deals with the statement of the approach of the Prophet in dealing with pandemics of diseases after the fact. Conclusion: include the most important results.

Key words: Approach, Sunnah, Diseases, Epidemics.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على النبي الأمين ﷺ، وآله الغر الميامين،
ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:
فإن الإسلام بتعاليمه السمحة يهدف إلى المحافظة على كليات خمس: الدين،
والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والمتأمل في هذه الكليات يتبين له أن ثلاثة منها
تتعلق بصحة الإنسان: حفظ النفس، والعقل، والنسل؛ وذلك لأن البشرية هي القطب
الأعظم في قوام الكون وعمارته، إذ لا يتصور قيام عمارة ولا حضارة إلا مع بشرية سوية
تتمتع بصحة جيدة وبنية قوية، ولهذا حفلت الشريعة الغراء بجملة كبيرة من التعاليم
والإرشادات التي تعنى بالصحة، وسبل المحافظة عليها، الوقاية لها من الأمراض
والأوبئة التي تدمرها .

وقد جاءت هذه الدراسة لتبين المنهج النبوي الشريف في التعامل مع الأمراض
والأوبئة، وذلك لحاجة البشرية الماسة إلى هذه التوجيهات التي تضمن لها الوقاية من
الأمراض والأوبئة، خاصة وهي تعيش اليوم جائحة كوفيد١٩، التي عمت البلاد.

إشكالية الدراسة:

تجتاح العالم في عصرنا الحاضر جائحة خطيرة هي جائحة (كوفيد١٩) تلك الجائحة
التي تهدد كيان الأفراد والمجتمعات، الأمر الذي يستدعي من الجميع العلم بطرق
التعامل مع الأمراض والأوبئة بمختلف أنواعها، ومن أهمها المنهج النبوي، ويمكن لنا
صياغة إشكالية الموضوع في الأسئلة التالية:

١. ما الأمراض والأوبئة؟، وما أسباب انتشارها؟، وما آثارها؟، وما الحِكم منها؟.
٢. ما المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة قبل وقوعها، وبعد وقوعها؟.

٣. ما أبرز جوانب الإعجاز النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة؟.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من خلال الآتي:

الحاجة الماسة إلى مثل هذه البحوث التي ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، وتوجهه إلى المنهج النبوي السديد في التعامل مع الأمراض والأوبئة. إذ من المعلوم أن السنة النبوية المشرفة قد سبقت العلم الحديث في التعامل مع الأمراض والأوبئة، وذخرت بمجموعة كبيرة من القواعد والضوابط التي يجب على المجتمع الأخذ بها للوقاية من الأمراض والأوبئة قبل انتشار وبعد انتشارها.

أهداف الدراسة:

١. التعريف بالأمراض والأوبئة، وأسباب انتشارها، وآثارها، والحكم منها.
٢. بيان المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة قبل وقوعها، وبعد وقوعها.
٣. بيان أبرز جوانب الإعجاز النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة.
٤. بيان سبق السنة النبوية للعلم الحديث في التعامل مع الأمراض والأوبئة.

حدود الدراسة:

تظهر حدود الدراسة من عنوانها (منهج السنة في التعامل مع الأمراض والأوبئة) فالدراسة تدور حول منهج النبي ﷺ في التعامل مع الأمراض والأوبئة، وربطه بما توصل إليه العلم الحديث في هذا الجانب.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى: مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

- ✓ المقدمة: فتتحدث عن أهمية الموضوع، ومشكلته، ومنهجه، وخطته.
- ✓ المطلب الأول: فيتناول الأمراض والأوبئة، والمسببات، والحكم، والآثار.

- ✓ المطلب الثاني: المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة قبل وقوعها.
- ✓ المطلب الثالث: المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة بعد وقوعها.
- ✓ خاتمة الدراسة: وفيها أهم النتائج.

منهج الدراسة :

- سلكت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، وذلك من خلال تتبع النصوص التي تعنى بالأمراض والأوبئة، ودراستها، واستخلاص المنهج النبوي القويم في التعامل معها، بالإضافة إلى بعض الأدوات الأخرى مثل:
- نقل الأقوال من مصادرها، وعزوها إلى أصحابها.
 - عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث والآثار من مظانها، والحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين.
 - الاعتماد على المصادر الأصلية، ذاكراً اسم الكتاب، والجزء والصفحة.
- وهذا أوان البدء في المقصود، والله أسأل التوفيق والسداد.

المطلب الأول الأمراض والأوبئة، والمسببات، والحكم، والآثار

أولاً: التعريفات:

١- تعريف الأمراض لغةً، واصطلاحاً:

الأمراض لغة: الأمراض: جمع مرض، والمرض: السقم، وهو نقيض الصحة، قال ابن فارس: الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان. وأصل المرض: النقصان، أو الضعف، يقال: بدن مريض: أي ناقص القوة، وقلب مريض: ناقص الدين، ومرض فلان: أي فسد جسمه وتغيرت حاله، والمرض: الظلمة، ومنه قوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، أي ظلماً، والمرض: إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها^(١) من خلال ما سبق يتبين لنا: أن كلمة المرض في اللغة تدور على أربعة أشياء: فساد، وضعف، ونقصان، وظلمة.

أما المرض اصطلاحاً:

قال الحرالي: "المرض: ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الأفعال"^(٢)

قال الجرجاني: "المرض هو: ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص"^(٣)

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس ت (٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٩٧٩، ٥/٢٤٩، مادة (مرض)، لسان العرب،

لابن منظور ت (٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط ١، ٧/٢٣١، مادة (مرض).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، دار الفكر - بيروت أدمشق، ط ١، ١٤١٠،

ص: ٦٤٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء

التراث العربي- بيروت، ١/ ٤٥.

وقال كنعان: المرض هو خروج الجسم عن حالة الاعتدال التي تعني قيام أعضاء البدن بوظائفها المعتادة مما يعوق الإنسان عن ممارسة أنشطته الجسدية والعقلية والنفسية بصورة طبيعية"^(١)

من خلال ما سبق يتبين لنا: أن المرض علةٌ تخرج الجسم عن حد الصحة والاعتدال.

٢- تعريف الأوبئة لغة، واصطلاحًا.

الأوبئة لغة: الأوبئة: جمع وباء، وهو مرض عام، يقال: وبئة الأرض إذا كثُر مرضها، وقيل: الوباءُ: سُرعَةُ الموتِ وكثرتِه في الناس، قال ابنُ النَّفِيس: الوباءُ: فسادٌ يَعْرِضُ لجوهرِ الهَوَاءِ لأسبابٍ سَمَويَّةٍ أو أرضيَّةٍ كالماءِ الآسنِ والجيفِ الكثيرةِ كما في الملاحم، وقال الحكيم داود الأنطاكي رحمه الله تعالى: إن الوباءَ حقيقةٌ تَغَيِّرُ الهَوَاءَ بالعوارِضِ العُلويَّةِ كاجتماعِ كواكبِ ذاتِ أشعَّةٍ، والسُّفليَّةِ كالملاحم، وانفتاحِ القُبورِ، وصُعودِ الأبخرةِ الفاسدةِ، وأسبابه مع ما ذُكر: تَغَيِّرُ فصولِ الزمانِ، والعناصرِ، وانقلابِ الكائناتِ، وذكروا له علاماتٍ منها، الحمى، والجُدريُّ، والنزلاتِ، والأورامِ وغيرُ ذلك"^(٢)

الأوبئة اصطلاحًا:

تعددت تعريفات العلماء والمتخصصين للأوبئة في الاصطلاح، من أهمها:

الوباء: هو حدوث حالات متزايدة من مرض ما في مجتمع أو لإقليم بزيادة واضحة عن

(١) الموسوعة الطبية الفقهية، لأحمد محمد كنعان، ط١، بيروت: دار الفنائس ١٤٢٠هـ، ص ٨٤٥

(٢) ينظر: لسان العرب ، ١/١٨٩، مادة (وبأ)، وتاج العروس، للزبيدي ت(١٢٠٥هـ)، طبعة، دار الهداية،

المتوقع عادة^(١)

وقيل الوباء: مرض معدٍ ينتشر في منطقة ما ويصيب العديد من سكان تلك المنطقة^(٢)
وقد عرفته منظمة الصحة العالمية: بأنه تفشي المرض بأسلوب غير متوقع ويستدعي
الاستنفار^(٣)

من خلال التعريفات السابقة يتبين لنا: أن الوباء: هو المرض الذي ينتشر في مجتمع
ما بسرعة وبصورة غير معهودة، وأقرب مثال على ذلك (كوفيد ١٩)، الذي عم البلاد
والعباد.

ثانياً: مسببات الأمراض والأوبئة:

إن الأمراض والأوبئة لا يمكن لها أن تنتشر دون جرثومة تحملها من مريض إلى
غيره، وهذه الجراثيم مخلوقات دقيقة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ومن أهمها:
البكتيريا: وهي مخلوقات دقيقة وحيدة الخلية مسؤولة عن حدوث الأمراض المختلفة:
كالتهاب الحلق، وعدوى الجهاز البولي، والسُّل، وغيرها، ولا يخفى علينا أن معظم
البكتيريا قد لا تسبب أمراضاً، والبكتيريا لا يخلو منها مكان.
الطفيليات: هي كائنات تعيش داخل الجسم، وقد تكون خارجية أو داخلية، وهي ضارة
وتسبب الأمراض المختلفة^(٤)

(١) مكافحة الأمراض السارية، دكتور دافيد ل. هايمان محرر، جمعية الصحة العالمية، القاهرة ط١٨، ٢٠٠٤، ص٧٥٣.

(٢) العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ، ص٨٨، ط٤ الرياض، الدار السعودية ١٩٨٢م.

(٣) منظمة الصحة العالمية : <http://www.who.int/ar>

(٤) موقع فيديو: الأمراض المعدية الأسباب والوقاية:

<https://www.feedo.net/MedicalEncyclopedia/DiseasesDisordersTropicals/InfectiousDiseases.htm>

الفيروس: وهو كائن مجهري يعيش داخل خلية كائن حي آخر. ورغم صغر حجمه إلا أنه سبب رئيسي من أسباب المرض. وهو يصيب الإنسان بأمراض مختلفة: كالحصبة والأنفلونزا ونزلات البرد الشائعة. وعندما يدخل الفيروس خلايا الكائن الحي يقوم بتدمير بعضها ومن ثم تحدث الإصابة بالأمراض. وقد يعيش داخل الخلايا دون إحداث أي أضرار بها^(١)

الفطريات: كائنات دقيقة تسبب العديد من الأمراض الجلدية مثل: القدم الرياضي والسعفة، ويمكن أن تُسبب أنواعاً من الفطريات وأمراضاً في الجهاز العصبي، والرتتين^(٢) وهذا الجراثيم تنتقل من الشخص المصاب إلى غيره عن طرق عدة:

- ١- الاتصال المباشر بالشخص المصاب، وهو طريق سهل للإصابة بالأمراض والأوبئة وخاصة في حالة السعال أو العطاس أو التقييل، أو عن طريق الاتصال الجنسي .
- ٢- الاتصال غير المباشر، وذلك لأن الكثير من الجراثيم قد تسقط على أماكن مختلفة كالأرض، والطاولات ومقابض الأبواب وصنابير المياه، وغيرها، فعند تلامس هذه الأشياء ينتقل الفيروس إلى اللامس.
- ٣- وقد تنتقل الجراثيم عن طريق لدغات الحشرات والحيوانات الحاملة له: كالبعوض والبراغيث والقمل وغيرها.
- ٤- وهناك طريق أخرى تنتقل عبرها الجراثيم يرجع من أراد الوقوف عليها إلى مظانها. وقد نشرت منظمة الصحة العالمية على صفحتها أهم الطرق التي ينتشر عبرها فيروس

(١) الاختراعات والاكتشافات، الطب، بول أ. كوباسا، نقله إلى العربية خليل يوسف سمرين، ٤٦،

<https://www.startimes.com/?t=8300365>

(٢) موقع : <https://www.mayoclinic.org/ar>

(كوفيد ١٩) هي:

أن الشخص المصاب بهذا الفيروس يفرز قطرات صغيرة من أنفه أو فمه عندما يسعل أو يعطس أو يتكلم. وهذه القطرات وزنها ثقيل نسبياً، فهي لا تنتقل إلى مكان بعيد وإنما تسقط سريعاً على الأرض، أو على الطاولة أو مقابض الأبواب أو غيرها، وبذلك ينتقل الفيروس إما بطريق مباشر عبر الشخص المصاب بهذا الفيروس، أو بطريق غير مباشر عبر ملامسة الأشياء التي لمسها ذلك الشخص المصاب^(١)

ثالثاً: الحكمة من الأمراض والأوبئة:

لم ينزل الله سبحانه البلاء بالناس عبثاً، إنما أودع في البلاء حكماً جليلاً، أطلع بعض عباده على بعضها، واستأثر بالبعض الآخر لحكمة يعلمها سبحانه وأهم هذه الحكم:

١ - تمييز الخبيث من الطيب:

الإيمان ليست كلمة تقال: بل منهج رسمه الله تعالى للعباد ليقوموا به بكل تفاصيله، ولا تقبل دعوى الإيمان إلا إذا قام العبد بحقه، ولنفي الادعاءات جعل الله للعباد ابتلاءات يمرون بها ليميز الخبيث من الطيب، والأمراض أحد هذه الابتلاءات قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، فالمؤمنون يخرجون من الابتلاءات وقد ازدادوا إيماناً

(١) منظمة الصحة العالمية:

وتقى، مثلهم كمثل الذهب إذا أدخل النار ذهب عنه الخبث.

٢- الاعتاظ والاعتبار للعباد لعلهم يرجعون .

من حَكَمَ الابتلاء بالأمراض والأوبئة : الردع للعباد لعلهم يرجعوا إلى ربهم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال الطبري رحمه الله: "الضراء الأسقام والعلل العارضة في الأجسام" (١). وقال ابن كثير: "الضراء: هي الأمراض، والأسقام، والآلام، والمصائب، والنوائب" (٢).

٣-تكفير الخطايا ومحو السيئات:

وهي حكمة من حكم الله تعالى في ابتلاء العباد بالأمراض والأوبئة: محو السيئات التي اقترفوها والخطايا والآثام التي اكتسبوها، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في قوله: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ" (٣)، وفي قوله ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا حَزَنِ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" (٤)، قال المباركفوري: "النصب: التعب والألم الذي يصيب البدن من جراحة وغيرها، والوصب: الوجد اللازم،

(١) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م، ١١/٣٥٤-٣٥٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ، ٤٢٧/١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب شدة المرض، ٧/١١٥، ح ٥٦٤٧.

(٤) المصدر السابق - كتاب المرضى - باب ما جاء في كفارة المرض، ٧/١١٤، ح ٥٦٤١.

والمرض"^(١)، إذا فمن رحمة الله تعالى أن يبتلي عباده بالأمراض والأوبئة ليكفر عنهم سيئاتهم ويقللهم من عثراتهم.. قال ابن عبد البر: "الذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض والأسقام وهذا أمر مجتمع عليه"^(٢)، وقال الحافظ ابن حجر: "الأمراض والأوجاع والآلام -بدنية كانت أو قلبية- تكفر ذنوب من تقع له"^(٣)

٤ - رفع درجات المؤمنين الصابرين الصادقين:

من حكم الله تعالى في ابتلاء العباد بالأمراض والأوبئة: رفع درجات الصابرين الراضين، إذ من العباد من يكون له منزلة عند الله لم يبلغها بعمله فما يزال الله يبتليه، حتى يصلها، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ "^(٤) فهذه النصوص تكشف لنا جانباً من حكم الله تعالى من الابتلاء بالأمراض والأوبئة.

رابعاً: الآثار المترتبة على انتشار الأمراض والأوبئة على الفرد والمجتمع: لا يمكن لعقل قط أن يجهل، أو يتجاهل خطورة الأمراض والأوبئة على الفرد بل وعلى المجتمع بأسره؛ إذ ما من إنسان إلا وقد رأي أو عايش مريضاً أنهكته مرضه، أو استفحل

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله المباركفوري ت(١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية، الهند، ٣، ١٩٨٤م، ٥/٢٢٧.

(٢) التمهيد، لأبي عمر يوسف بن البرت(٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى العلوي، مؤسسة القرطبة، ٢٣/٢٦.

(٣) فتح الباري، ١٦/١٣٢.

(٤) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، ٨/١٤، ح ٢٥٧٢.

به وسط عجز من الأطباء عن إيجاد مصلٍ ملائم له، لذا فإن من تأمل الأمراض والأوبئة وجد لها آثاراً سيئة على الفرد المجتمع، نذكر بعضاً منها:

أولاً: آثار الأمراض والأوبئة السيئة على الفرد.

١. تتتاب الأمراض والأوبئة الفرد بالخوف والقلق الذي قد يصل به إلى حد اليأس الكفيل بأن يفقده عزمه وإرادته وهمته.

٢. تتسبب الأمراض والأوبئة في فقدان الأسرة للطمأنينة جرّاء إصابة فرد من أفرادها بأحد الأمراض المزمنة، التي قد تصل بهم إلى حد النفور منه خوفاً من انتقال المرض إليهم.

٣. تستنزف الأمراض والأوبئة أموال المريض الطائلة للحصول على العلاج المناسب له.

ثانياً: آثار الأمراض والأوبئة السيئة على المجتمع.

١. الركود الاقتصادي الذي يضرب المجتمع جرّاء انتشار الأمراض والأوبئة، الأمر الذي قد يجعل الدولة تواجه أزمة اقتصادية كبرى لا تخرج منها، لو لم تكن لديها خطة لمواجهة المخاطر التي قد تنزل بها.

٢. من آثار الأمراض والأوبئة إلغاء الفعاليات، والندوات، والمسابقات، وغلق المعارض، والمهرجانات والمدارس ودور العبادة، والأسواق، والحدائق، والشركات، وجميع الأنشطة الاجتماعية، والأماكن العامة التي يجتمع فيها الناس، وهذا - بلا ريب - فيه ضرر بالغ على المجتمع.

٣. استنزاف إمكانيات الدولة في سبيل مواجهة الأمراض والأوبئة، لكبح انتشارها، والقضاء عليهما.

المطلب الثاني

المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة قبل وقوعها

الحفاظ على الصحة والعناية بها من أسمى المقاصد التي جاء بها الإسلام وحث عليها، وقد أشاد بها النبي ﷺ فقال: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"^(١). ولم يهتم دين بالصحة عشر اهتمام الإسلام بها، فقد جعل الشرع الشريف المحافظة على (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، من أعظم أهدافه، بل إنه قعد القواعد التي تعنى بالصحة وتحافظ عليها، وجعل جزءاً منها إلزامياً، يتوجب على المسلم أن يأتي به ليكون تدينه صحيحاً، والذي يستقرئ السنة النبوية المشرفة يتبين له بوضوح المنهج الفريد الذي وضعه النبي ﷺ للمحافظة على الصحة والعناية بها، وهو منهج متميز يتسم بكماله، وشموله، وسهولته، وبه حازت السنة النبوية المشرفة قصب السبق في هذا المجال، وقد اعترف القاضي والداني بكفاءة وجدارة هذا المنهج في الوقاية من الأمراض والأوبئة، والحد من انتشارها، بل وتحصين الفرد والمجتمع من شراكها، والمتأمل في واقع الأمم والحضارات والشعوب لا يعثر على أمة أو حضارة وضعت لأفرادها منهجاً للحفاظ على الصحة التزم به أفرادها غير المنهج الإسلامي؛ وما ذلك إلا لأن المنهج الذي وضعه الإسلام قد أدخله في العبادات وألزم به العباد.

قال ابن القيم: " ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم، والمشرب، والملبس، والمسكن، والهواء، والنوم، واليقظة، والحركة، والسكون، والمنكح، والاستفراغ، والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق للملائم للبدن، والبلد، والسن، والعادة،

(١) صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، ٨/ ٨٨، ح ٦٤١٢.

كان أقرب إلى دوام الصحة أو غلبتها إلى انقضاء الأجل"^(١)، ومن أهم معالم هذا المنهج ما يأتي:

أولاً: النظافة ودورها في الوقاية من الأمراض والأوبئة:

لا ريب أن للنظافة أهمية كبرى في الوقاية من الأمراض والأوبئة، إذ لا يخفى على أحد أن الأوساخ والقاذورات تعد وسطاً ملائماً لنمو الجراثيم وتكاثرها، وهذا بدوره يؤدي إلى انتشار الأمراض والأوبئة، وسوف نوضح معالم المنهج النبوي في النظافة من خلال محورين.

الأول: نظافة البيئة:

ولهذا اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالبيئة ونظافتها، والذي يستقرئ السنة النبوية المشرفة يتضح له أن البيئة قد أخذت فيها مساحة كبيرة، وهذا يجعلنا نقرّ بيقين أن السنة النبوية المشرفة قد وضعت منهجاً لا نظير له لإعداد بيئة صحية مثالية خالية من الأمراض والأوبئة، والصور التالية توضح لنا معالم هذا المنهج النبوي السديد:

١- نظافة الطرقات والأماكن العامة: حث النبي ﷺ على النظافة والعناية بالطرقات والأماكن العامة، وجعل ذلك جزءاً من العقيدة، فقال ﷺ: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"^(٢). وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٩٩٤، ٤/١٩٦.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب شعب الإيمان، ١/٤٦، ح٣٥.

الله ﷺ قَالَ: اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ^(١)

فهذان الحديثان يدلان على رعاية الإسلام واهتمامه بالبيئة، إذ إن النبي ﷺ قد ربط في الحديث الأولى بين الإيمان وإمارة الأذى عن الطريق، وهو بهذا يرغب في إمارة الأذى عن الطريق بأقوى ترغيب ليمثله الناس، وفي الحديث الثاني ربط بين اللعن والتخلي في طريق الناس وظلمهم، وهو بهذا ينفر عن التسبب إيذاء الناس بأقوى أسلوب في التنفير، ويدخل في الأذى كل ما من شأنه أن يلوث البيئة ويطمس جمالها، ويعكّر مشاعر الناس وأذواقهم من قمامات، ومخلفات، وأحجار، وأشجار، وغائط، وغيرها، مما يكون سبباً في نشر الجراثيم والميكروبات، التي تسبب الأمراض والأوبئة.

وتتجلى لنا عظمة النبوة في هذا الإعجاز النبوي الذي كشف عنه العلم الحديث في ضوء النهي النبوي الشريف عن التخلي في طريق الناس أو ظلمهم.

فقد أثبت العلم الحديث أن الكتلة البرازية للإنسان السليم تحتوي على العديد من الميكروبات المختلفة، وبأعداد هائلة قد يؤدي بعضها إلى أمراض متعددة، ومن ضمن هذه الميكروبات ملايين من البكتريا المختلفة والفيروسات والطفيليات الأولية والفطريات، منها الممرض ومنها ما يسبب المرض تحت ظروف معينة^(٢)

٢- نظافة المسكن وتوابعه: تعد نظافة المسكن وتوابعه من التدابير الاحترازية للوقاية

(١) المصدر السابق - كتاب الطهارة - باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، ١/١٥٦، ح ٢٦٩.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ليوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط ٢،

٢٠٠٣م، ص ٦٧٨.

من الأمراض والأوبئة؛ لأن الجراثيم والفيروسات لا تنمو ولا وتتكاثر إلا في الأماكن التي لا يتعاهد بها أحد بالنظافة؛ لذا أولى النبي ﷺ نظافة المنزل وتوابعه اهتمامًا كبيرًا، فقد أخرج الإمام الطبراني بسنده عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "طَهَّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ"^(١)، والأفنية: جمع فناء وهو المتسع أمام الدار^(٢)، وحث ﷺ أيضًا على العناية بآنية المنزل وتنظيفها وتغطيتها للوقاية من الجراثيم والأوبئة والحشرات والهوم، فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن جابر عن رسول الله ﷺ: غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ"^(٣)

وأمر بغسل الأنية سبع مرات أولاًهن بالتراب إذا ولغ فيها الكلب؛ وذلك للقضاء على الجراثيم والفيروسات التي تسقط من لعاب الكلب فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: طَهُّورُ إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أَوْ لَاهُنَّ بِالتُّرَابِ"^(٤)

وقد توفر العلماء والباحثون في العصر الحديث على هذه الأحاديث النبوية فكشفوا لنا عن جوانب مذهلة من إعجاز النبوة، منها:

- (١) (أفنيتمكم): جمع فناء وهو المتسع أمام الدار. فيض القدير شرح الجامع الصغير، - المناوي (٤ / ٣٥٨)
- (٢) المعجم الأوسط للطبراني ٤ / ٢٣١، ح ٤٠٥٧. حسنه الألباني. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني ت (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٥م، ١ / ٧٤٧.
- (٣) فتح الباري، ٥ / ١١٣.
- (٤) صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، ٦ / ١٠٧، ح ٢٠١٤.
- (٥) المصدر السابق - كتاب الطهارة - باب حكم ولوغ الكلب، ١ / ١٦٢، ح ٢٧٩.

١- قوله ﷺ في الحديث السابق: " فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ" يحمل إشارة إلى أن هناك أمراضاً معدية تسري في مواسم معينة من السنة، وأن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق من الله تعالى لا يعرف تعليله حتى الآن، وهذا ما جعلهم يقرون بيقن أن النبي ﷺ هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة^(١)

٢- وفي حديث ولوغ الكلب، فقد أثبت الطب الحديث: أن الكلاب تحمل أنواعاً من الجراثيم والميكروبات ممرضة، ولا يمكن التخلص منها إلا بالتراب مهما وضع من المطهرات الحديثة^(٢)

إذاً من المعجز حقاً أن يأمر النبي ﷺ بالتدابير الوقائية لحفظ الصحة قبل الطب الحديث بأكثر من أربعة عشر قرناً.

٣- ثالثاً: نظافة المساجد:

أخذت المساجد جانباً كبيراً من اهتمام النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يحفز المسلمين دائماً على تنظيفها من الأوساخ والأقذار وتطهيرها وتطبيخها، تعظيماً لها، وضمناً لأن تكون بيئة صحية آمنة، لا تنتشر فيها الأمراض والأوبئة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ فِي الدُّورِ وَأَنْ تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ"^(٣). وجرم النبي ﷺ البصاق في المساجد، فقَالَ: "الْبَرَأَقُ فِي

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ص ٦٨٢.

(٢) الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد، ط، الدار المصرية، القاهرة، ط ٧، ٢٠٠٧، ص ٥٥.

(٣) سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب اتخاذ المساجد في الدور، ١/ ١٧٣، ح ٤٥٥. وإسناده صحيح على شرط

الشيخين. انظر: سلسلة الأحاديث الألباني، ٦/ ٤٩٧

المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا" (١) ولما بال الأعرابي في المسجد ونهره الصحابة رضي الله عنهم، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ، فَتَرْكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ" (٢)

فهذه الأحاديث تظهر لنا حرص النبي ﷺ على نظافة المساجد وتطهيرها وتطيبها، حتى لا تكون المساجد بيئة ملائمة لاحتضان الجراثيم، إذ لا يخفى علينا ما يجلبه البصاق والبول من جراثيم وأوبئة تضر بالأفراد والجماعات.

٤ - نظافة المياه:

الماء مصدر الحياة وأساسها، وقد أولاه الشارع الحكيم عنايةً كبيرةً، فحث على صيانتها والمحافظة عليه من كل ما يلوثه، فقال ﷺ قَالَ: " لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ" (٣). وذلك لأن التبول فيه يجعله وسطاً جيداً لنمو والفيروسات والجراثيم وتكاثرها، ويلحق بالبول جميع القاذورات، والمواد السامة، التي من شأنها أن تلوث الماء وتجعله وسطاً صالحاً لنمو وتنشط الجراثيم المختلفة، التي تسبب الكثير من الأمراض الفتاكة، كالتيفود، والبلهارسيا، والدودة الكبدية وغيرها.

وللمحافظة على الماء وبقائه نقياً نهى النبي ﷺ عن إدخال المستيقظ من النوم يده في

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب كفارة البزاق في المسجد، ٩١ / ١، ج ٤١٥.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، ١٦٣ / ١، ٢٨٥.

(٣) المصدر السابق - كتاب الطهارة - باب النهي عن البول في الماء الراكد، ١٦٢ / ١، ج ٢٨٢.

الإناء فقال ﷺ: "إِذَا اسْتَيْفَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ"^(١)

ونهي النبي ﷺ عن النفخ في الإناء عند الشرب فقال: "إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ"^(٢). وذلك للمحافظة على صحة الإنسان والوقاية لها من الأمراض.

والنهي عن النفخ في الإناء يعد من أهم قواعد الطب الوقائي، إذ قد يكون النافخ مريضاً فتخرج الجراثيم مع النفس فتلتصق بالإناء ثم تنتقل إلى شخص آخر فيعم البلاء.

الثاني: النظافة الشخصية:

من التدابير الاحترازية التي وضعها الشارع الحكيم للوقاية من الأمراض والأوبئة: النظافة الشخصية، والتي اصطلح عليها ب(الطهارة) والمتأمل في الشرع الشريف يتبين له عنايته الكبرى بالنظافة؛ ونظرًا لأهميتها الكبرى في الوقاية من الأمراض والأوبئة، أدخلها الشارع في الأمور التعبدية وجعلها شرطًا لصحة العبادات، ليس هذا فحسب بل إن الشارع الحكيم جعل الطهارة نصف الإيمان فعند البخاري قال ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ"^(٣)

والطهارة في الإسلام تنقسم إلى قسمين: صغرى، وكبرى.

أما الصغرى: فهي الوضوء، وفي مقدمته يأتي الاستنجاء الذي أوجبه الشارع الحكيم

(١) المصدر السابق - كتاب الطهارة - باب كراهة غمس يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثًا، ١/١٦٠، ح ٢٧٨.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأشربة - باب النهي عن التنفس في الإناء، ٧/١١٢، ح ٥٦٣٠.

(٣) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء، ١/١٤٠، ح ٢٢٣.

من البول، والغائط، والمذي، والودي^(١)، وذلك لتنظيف هذه الأماكن من احتواء الميكروبات والجراثيم، ثم يأتي الوضوء الذي أوجبه الشرع الشريف للصلوات الخمس، والذي هو نظافة وطهارة لأعضاء مخصوصة، وقد اعتنت السنة النبوية المشرفة بالوضوء عناية كبيرة، واستخدم النبي ﷺ مختلف الأساليب^(٢) للحث عليه والملازمة له والإتيان به على أكمل وجه، وذلك لما له من أهمية كبيرة في الحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض والأوبئة، فالمسلم الذي يتوضأ، فيغسل يديه ويخلل أصابعه ثلاثاً؛ ثم يتمضمض ويستنشق ويبالغ فيهما ثلاثاً، ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثاً، ثم يمسح رأسه، ثم يغسل رجليه ويخلل أصابعه ثلاثاً، ويكرر هذا في اليوم خمس مرات، فهو بهذا يكون قد تم غسل العضو في اليوم خمس عشرة مرة أو أكثر، ومن فعل هذا فإنه -ولا ريب- يكون قد تخلص من الجراثيم والفيروسات التي تتكون على هذه الأعضاء نتيجة للتلوث والغبار والقاذورات التي تتعرض لها، وبهذا يكون الإنسان قد حصل على أعلى درجات النظافة والطهارة، وتعد هذه الكيفية (الوضوء) أفضل طريقة عملية للاحتراز من الأمراض والأوبئة في تاريخ البشرية، ولهذه الأهمية البالغة للوضوء ندبه النبي ﷺ في مواطن متعددة: كالنوم، ومس المصحف، وصلاة الجنازة، وسجود التلاوة، وغير ذلك.

وقد أثبت العلم الحديث أن أعضاء الجسم تتعرض طوال اليوم لعدد مهول من

(١) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي الحنفي ت(٧٤٣ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية -

بولاق، القاهرة، ط١، ١٣١٣ هـ، ١٦/١-١٧.

(٢) كالترغيب والترهيب، وضرب الأمثال، وغير ذلك.

الميكروبات تعد بالملايين في كل سنتيمتر مكعب من الهواء، وهي دائما في حالة هجوم على الجسم الإنساني من خلال الجلد في المناطق المكشوفة، وعند الوضوء تفاجئ هذه الميكروبات بحالة كسح شاملة لها من فوق سطح الجلد، خاصة مع التدليك الجيد وإسباغ الوضوء، وهو هدي الرسول ﷺ وبذلك لا يبقى بعد الوضوء أي أثر من أردان أو جراثيم على الجسم إلا ما شاء الله، وأثبت العلم أيضا أن الذين يتوضؤون باستمرار قد ظهر الأنف عند غالبيتهم نظيفا طاهرا خاليا من الميكروبات؛ في حين أعطت أنوف من لا يتوضؤون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى؛ فلذلك شرع الاستنشاق بصورة متكررة ثلاث مرات في كل وضوء^(١)

أما الكبرى: فهي الغسل: فقد وصفتها السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُفْرَغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ الْمَاءَ فَيُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي أَصُولِ الشَّعْرِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدِ اسْتَبْرَأَ، حَفَنَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ، ثُمَّ غَسَلَ" ^(٢)

وقد أوجب الشارع الحكيم الغسل في بعض المواطن: كالجنابة، والحيض، والنفاس، ونظرا لأهميته في نظافة البدن وطهارته ووقاية الفرد من الأمراض والأوبئة، ندبه النبي ﷺ

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ٩٣٢.

(٢) هكذا وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها غسل النبي ﷺ. انظر، صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب صفة

غسل الجنابة، ١/ ١٧٤، ح ٣١٦.

في مواطن عديدة منها: غسل الجمعة، والعيدين، والإحرام والوقوف بعرفة، ليس هذا فحسب بل جعل النبي ﷺ الغسل حقاً من الحقوق التي ينبغي على المسلم أن يلتزم بها، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: حَقُّ لِيهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ" (١)

وبهذا يكون الرسول ﷺ قد رسَّخ في أذهان الجميع أهمية الغسل، ودوره الكبير في المحافظة على البدن من الجراثيم والميكروبات.

والذي يتأمل في هذا المنهج الإسلامي، يتبين له بوضوح: أنه منهج متكامل، كفيلاً بوقاية الإنسان من جميع الجراثيم والفيروسات، التي لو تركت لاستفحل أمرها. فتأمل: استنحاء متكرر في اليوم واللييلة كفيلاً بأن يقضي على الفيروسات التي يتوقع وجودها في هذه الأماكن. ثم يأتي بعد ذلك الوضوء الذي يتكرر في اليوم واللييلة خمس مرات أو أكثر وفيه يتم غسل أعضاء الوضوء التي تتعرض للتلوث باستمرار، وبهذا يكون الوضوء كفيلاً بالقضاء على هذه الجراثيم والفيروسات التي يمكن وجودها على هذه الأعضاء، خاصة الفم والأنف وهما المدخلان الهامان للجسد، وفي العناية بهما عناية بجميع الجسد، حتى لا تتعرض أجهزة الجسم الداخلية للأمراض ومن ثم تنتشر في جميع الجسم.

ثانياً: العبادات ودورها في الوقاية من الأمراض والأوبئة:

١ - الصلاة ودورها في الوقاية من الأمراض والأوبئة:

فرضت الصلاة لحكم سامية وغايات نبيلة، وقد عنيت السنة النبوية المشرفة بها

(١) صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب الطيب والسواك يوم الجمعة، ٤/٣، ح ٨٤٩.

عناية كبيرة، إذ شمّر النبي الكريم ﷺ عن ساعد الجد ففصّل فيها القول تفصيلاً دقيقاً، وأرشد أمته إلى أهميتها وفضائلها، وكشف لها عن بعض الحِكَم التي شرعت لأجلها، وبين أن للصلاة دور مهم في حفظ البدن ووقايته من الأمراض والأوبئة؛ ومن تعقل في أمرها تبين له: أنها تستوجب على المصلي قبل قيامه بأدائها أن ينظف بدنه، وثوبه، في اليوم خمس مرات، وإذا فعل العبد هذا فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الوقاية من الأمراض والأوبئة. وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري "عن أبي هريرة: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ. قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا"^(١)

٢- الصيام ودوره في الوقاية من الأوبئة:

فرض الله تعالى صيام شهر رمضان على عباده لحكم جليلة، أشار إليها النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ"^(٢)

ومعنى جُنَّةٌ: أي وقاية ولم يحدد النبي ﷺ متعلق جنة لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، فيكون الصوم وقاية من المعاصي، ووقاية من الشياطين، من عذاب الله، وقاية من الأمراض والأوبئة، قال الطاهر ابن عاشور: "في الحديث الصحيح « الصَّوْمُ جُنَّةٌ » أي وقاية ولما ترك ذكر متعلق جُنَّةٍ تعيّن حمله على ما يصلح له من أصناف الوقاية

(١) صحيح البخاري - كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلوات الخمس كفارة، ١/ ١١٢، ح ٥٢٨.

(٢) المصدر السابق - كتاب الصيام - باب فضل الصيام، ٣/ ١٥٧، ح ١١٥١.

المرغوبة، ففي الصوم وقاية من الوقوع في المآثم ووقاية من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقاية من العِلل والأدواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللذات"^(١)، وقال د. محمد سيد طنطاوي: "الصوم وقاية من العِلل والأمراض الناشئة عن الإفراط في تناول بعض الأطعمة والأشربة"^(٢)، ولما كان الصيام ينطوي على هذه الفوائد العديدة والتي من أجلها الوقاية من الأمراض والأوبئة رغب النبي ﷺ في الإكثار منه والعناية به، ولما تقدم العلم وتطورت وسائله كشف لنا جوانب من الإعجاز التي تكمن في الصيام.

يقول البروفيسور يوهان غيساكي^(٣) Johan Giesecke : أكاد أجزم بأن الصيام يقلل من خطر الإصابة بفيروس كورونا، لأن الرطوبة هي التي توفر البيئة المناسبة لاحتضان الأغشية المخاطية لفيروس كورونا، وأعتقد أن خطر انتقال العدوى ينخفض عند الصوم^(٤). وفي عام ٢٠١٨ خرجت أول دراسة عالمية لجامعة جنوب أستراليا تقدم أسلوباً مدهشاً لعلاج الأمراض المزمنة، خلاصته هو: أن تأكل بشكل طبيعي خمسة أيام وتصوم يومين كل أسبوع، يقول العلماء: إن هذه الطريقة فعالة بشكل مدهش في المحافظة على صحة أفضل والوقاية من الأمراض المزمنة وتجديد الخلايا المناعية^(٥) إن هذا الأسلوب الذي يعتبرونه مدهشاً في علاج الأمراض المزمنة، لم يتوصلوا

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور ت(١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس ٥١٩٨٤، ٢/١٥٨.

(٢) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة - القاهرة، ط ١٩٩٧م، ١/٣٨١.

(٣) أحد أشهر المتخصصين في الأمراض المعدية وعلم الأوبئة.. وعضو مجموعة كوفيد ١٩ في معهد كارولنسكا

السويدي والمسؤول عن متابعة تطورات فيروس كورونا المستجد.

(٤) ينظر: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي، <https://kaheel7.net/?p=22468>

(٥) ينظر: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي، <https://kaheel7.net/?p=22487>

إليه إلا بعد العديد من الدراسات والأبحاث العلمية في عصر قد توافرت فيه جميع وسائل العلم وأدواته، فكيف إذا علموا أن هذا الأسلوب المدهش الذي توصلوا إليه قد سبقهم إليه النبي ﷺ، فأوصى به أمته من أكثر من ألف وأربع مئة عام^(١)

٢- الزكاة والصدقة ودورهما في الوقاية من الأمراض والأوبئة:

للزكاة والصدقة دور مهم في علاج الكثير من الأمراض والأوبئة، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا في حديثه الذي أخرجه الإمام الطبراني بسنده عن عبد الله قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ^(٢). يقول ابن القيم: "فإن للصدقة تأثيراً عجبياً في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه"^(٣)

ثالثاً: خصال الفطرة ودورها في الوقاية من الأمراض والأوبئة

حث النبي ﷺ على العناية بجملة من الأمور تساهم بشكل كبير في الوقاية من الأمراض والأوبئة، وهذه الأمور تنتظم تحت مسمى (خصال الفطرة)، فعن عائشة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ، فَذَكَرْتُ مِنْهَا: قَصُّ الشَّارِبِ، وَالسَّوَاكُ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ....^(٤). وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ

(١) صحيح ابن خزيمة - كتاب الصوم - جماع أبواب صوم التطوع، ٣/ ٥١٩، ح ٢٢١٦.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني، ١٠/ ١٢٨، ح ١٠٢٢٤. حسنه ابن مفلح. ينظر: الفروع، لابن مفلح ت (٧٦٣هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٣/ ٢٦١.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ت (٧٥١هـ)، دار الحديث - القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م، ص ٣١.

(٤) جامع الترمذي - أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في تقليم الأظفار، ٤/ ٤٦٩، ح ٢٧٥٧.

يَقُولُ: الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الْأَبَاطِ^(١)، ونتوقف مع أهم هذه الخصال لنكشف عن عظمة المنهج النبوي في الطب الوقائي.

أ- السواك: هو قطعة من شجر الأراك، يستخدم لتنظيف الفم وتطهيره من بقايا الطعام والرائحة الكريهة، والسواك له أهمية جلييلة في تنظيف الفم وتطهيره، ووقايته من الأمراض والأوبئة لذا ندب الشارع الحكيم إلى استعماله بكثرة في مواطن متعددة منها: عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند قراءة القرآن، وعند النوم وعند الاستيقاظ منه، وعند الاجتماع. فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ، قال: "لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي، أَوْ عَلَيَّ النَّاسِ، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسُّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ"^(٢) وسبب حرص الشارع الحكيم على استعمال السواك، أن السواك ينظف الأسنان، ويزيل الطبقة الجرثومية قبل أن تتراكم على الأسنان وتزداد ويستفحل أمرها.

وقد أكد العلم الحديث: أن السواك المحضّر من عود الأراك يحتوي على العفص وهي مادة مضادة للعفونة تعمل على قطع نزييف اللثة وتقويتها، كما تؤكد على وجود مادة خردلية ذات رائحة حادة من طعم حراق تساعد على الفتك بالجراثيم^(٣).

ب- الختان: وهو قطع القلفة التي تغطي الحشفة، والختان طهارة ونظافة؛ لأن هذه

(١) صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب تقليم الأظفار، ٧/١٦٠، رقم ٥٨٩١.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب السواك يوم الجمعة، ٤/٢، ح ٨٨٧.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، ط ٢، ٢٠٠٣، ٧٤٨،

وينظر: السواك والعناية بالأسنان، عبد الله عبد الرزاق مسعود، الدار السعودية، جدة، ط ٢، ١٩٨٥، ص ٤٨.

المنطقة تعد موطنًا جيدًا للجراثيم والميكروبات، وهي بدورها تسبب أمراضًا خطيرةً، كسرطان القضيب، والتهابات المجاري البولية، وتنظيف هذه المنطقة والقضاء على الجراثيم المتراكمة خلفها لا يمكن إلا بعد الختان، لذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على الختان.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن غير المختونين يصابون بمعدل أكبر بأمراض المسالك البولية بسبب عدد من الجراثيم، كما أن نسبة الصديد والبكتريا تزداد لديهم في البول، كما أثبتت بعض الدراسات العلاقة بين سرطان عنق الرحم وبين عدم اختتان الرجال^(١)

ج- وأما حلق العانة، وشف الإبط: فلأن هذه المناطق تعد بيئة صالحة لحضن الجراثيم والفيروسات ونموها وتكاثرها، وهي بهذا تشكل خطرًا كبيرًا على الإنسان إذ تجعله عرضة لكثير من الأمراض الخطيرة، لذا حث النبي ﷺ على تنظيفها وتعاهدتها وإزالة ما بها من شعر؛ لكي لا تكون بيئة مناسبة لاحتضان الجراثيم والفيروسات.

د- وأما قص الأظافر: فلأن الأظافر الطويلة تجتمع خلفها الأوساخ والميكروبات، وهي بهذا تعد مكانًا ملائمًا للجراثيم، التي تنتقل إلى الجسم عن طريق الفم وربما لا يستطيع الإنسان تنظيفها على الوجه الأكمل الأمر يساعد على نمو الجراثيم.

وأما قص الشارب: وهو قص ما زاد على الشفة العليا؛ لأن الشارب إذا طال قد يتلوث بالأطعمة التي لو تركت لأدت إلى نمو الجراثيم، ففي قصة نظافة ووقاية.

رابعًا: الأطعمة والأشربة ودورها في الوقاية من الأمراض والأوبئة: وضعت السنة النبوية

(١) إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي، د. عبد الجواد الصاوي، ط، دار جيا، ط ١، ٢٠١٢م.

منهجًا سديدًا في الطعام الشراب، كفيل بأن يحافظ على صحة الإنسان، وبقائها من كثير من الأمراض والأوبئة، من أهم معالمه:

أ- الأكل باليد اليمنى، والنهي عن الأكل بالشمال.

فقد أخرج البخاري بسنده عن عمر بن سلمة قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ بِيَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ^(١)

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ، وَلِيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، وَلِيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ، وَلِيُعْطِ بِيَمِينِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ^(٢)

قال الإمام الخطابي: "اليمن مرصدة في أدب السنة للأكل والشرب والأخذ والإعطاء ومصونة عن مباشرة السفل والمغابن وعن مماسة الأعضاء التي هي مجاري الأثفال (الحثالة) والنجاسات. وامتھنت اليسرى في خدمة أسافل البدن لإماطة ما هنالك من القذارات وتنظيف ما يحدث فيها من الدنس والشعث"^(٣)

ب- غسل اليدين قبل الطعام وبعده: أما غسل اليدين قبل الطعام فلتنظيفها من الأوساخ والأقذار، التي قد تجلب العلل والأمراض، إذ لا يخفى على أحد أن الجراثيم تنتشر في كل مكان، ولا يستطيع أحد أن يحترز عن لمس الأشياء، أما غسل اليدين بعد

(١) صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ٦٨/٧، ح ٥٣٧٦.

(٢) سنن ابن ماجه - أبواب الأطعمة - باب الأكل باليمين، ٤/٤٠٦، ح ٣٢٦٦، صححه الألباني. انظر. سلسلة

الأحاديث الصحيحة، الألباني ت (١٤٢٠هـ)، ١/٧٤٦.

(٣) معالم السنن، الخطابي ت (٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية - حلب، ط ١، ١٩٣٢م، ١/١١.

الطعام فلتنظيفها من بقايا الطعام التي تعلق بها فتجعل منها وسطاً ملائماً للجراثيم. أخرج الإمام النسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنبٌ تَوَضَّأَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ غَسَلَ يَدَيْهِ^(١)

وقد أوضح الدكتور محمود غنيم رئيس قسم الطوارئ في مستشفى دبي: أن غسل اليدين جيداً بانتظام يعد بمثابة درع واقٍ من الأمراض المعدية؛ حيث إنه يحول دون وصول الجراثيم عبر اليدين ومن ثم الفم أو الأنف أو العين، ومنها إلى الأغشية المخاطية بالجسم... وقال أيضاً: هناك بعض الأشياء التي يتحتم على الناس غسل أيديهم فوراً، دون أي انتظار، بعد لمسها، مثل النقود لاعتبارها من أكثر الأشياء التي يلمسها الناس في حياتهم اليومية، دون أن يدركوا كمية الجراثيم والميكروبات الموجودة عليها، ولا بد من غسل اليدين في أقرب وقت ممكن بعد لمس حواجز السلالم، أو مقابض الأبواب، أو شريط السلم المتحرك، لأن هذه المواقع موجودة في الأماكن العامة يلمسها آلاف الأشخاص يومياً، وبالتالي فإنها معرضة للأوساخ والجراثيم والميكروبات^(٢)

ج- الاعتدال في تناول الطعام والشراب:

من طرق التدابير الوقائية لحماية الصحة من الأمراض والأوبئة: الاعتدال في تناول الطعام والشراب، وهذا ما أرشد إليه خير الأنام، فقد قال فيما أخرجه الإمام الترمذي بسنده عن مقدم بن معدي كرب قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءً

(١) سنن النسائي - كتاب الطهارة - باب اقتصار الجنب على غسل يديه إذا أراد أن يأكل، ١ / ٧٤، ح ١٦٤.

(٢) مجلة البيان، الإمارات، مقال بعنوان (غسل اليدين أساس في الوقاية من الأمراض والتصدي لانتشار العدوى)

<https://www.albayan.ae/health/features/2019-11-03-1.3690188>.

شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَهَ فَتُلُثُ لِطَعَامِهِ
وَتُلُثُ لِشَرَابِهِ وَتُلُثُ لِنَفْسِهِ" (١)

فهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، ولما قرأ الطبيب المسيحي ابن
ماسويه (٢) هذا الحديث قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض
والأسقام، ولتعطلت دكاكين الصيدالة (٣)

فالإفراط في الطعام والشراب له خطر كبير على صحة الإنسان؛ لأن "الأمراض
نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة، أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله
الطبيعية وهي أكثر الأمراض، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول،
والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم،
والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة؛ فإذا ملأ آدمي بطنه من هذه الأغذية
واعتاد ذلك أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال وسريعه، فإذا توسط في الغذاء
وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من
انتفاعه بالغذاء الكثير" (٤)

(١) جامع الترمذي - أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ٤/١٨٨، ح ٢٣٨٠.

صححه الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/٣٣٨

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن ماسويه الحراني، كان مسيحياً طبيباً حاذقاً، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين. انظر:

هدية العارفين، لإسماعيل بن محمد البغدادي ت(١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥١م،

٥١٥/٢.

(٣) ينظر، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ت(٧٩٥هـ)، تحقيق، محمد الأحمد، دار السلام للطباعة

والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠٤م، ٣/١٢٣٨.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤/١٦.

والذي يطالع العلم الحديث، وما توصل إليه من تدابير وقائية لحفظ الصحة، يدرك عظمة المنهج الذي وضعه النبي ﷺ للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض والأوبئة، فمن أراد أن يتجنب الأمراض فليسر على هذا الهدى النبي ج- تجنب الأشرطة والأطعمة المحرمة:

فقد جاء في الكتاب والسنة النبوية المشرفة النهي عن تناول بعض الأشرطة والأطعمة التي من شأنه أن تصيب الإنسان بالكثير من الأمراض والأوبئة؛ لأنها تعد بؤراً صالحة لنمو الفيروسات الجراثيم، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- فمن الأشرطة (الخمير):

فقد أخرج الإمام مسلم بسنده: أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه أو كرهه أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء. فقال: إنه ليس بدواء، ولكنه داء^(١)

فالنبي ﷺ إذ يجيب على سؤال طارق بن سويد، إنما يوجه أنظار الجميع إلى أن وراء التشريع الإلهي حكم جليلة من أهمها المحافظة على النفس، وهذه العلة هي إحدى علل تحريم الشرع لشرب الخمر، وقد التقى العلم الحديث بالشرع الحنيف في هذا الشأن، فأسفرت الأبحاث العلمية الرصينة عن نتيجة واحدة هي: "أن شرب الخمر يهدد النفس البشرية بالكثير من العلل والأمراض". يقول: الدكتور حسان شمسي: "منذ بضع سنين نشرت في بريطانيا دراسة تقول: إن شرب كمية قليلة من الخمر يمكن أن يقي من مرض شرايين القلب، وأخذ الناس في أمريكا وأوروبا يروجون لهذه الفكرة، والحقيقة

(١) صحيح مسلم - كتاب الأشرطة - باب تحريم التداوي بالخمير، ٨ / ٨٩، ح ١٩٨٤

أن نتائج هذه الدراسة قد حرفت لتعطي تلك النتائج المضللة وتناسى الباحثون أن شرب الخمر يؤدي إلى اعتلال في عضلة القلب وهبوط (فشل) القلب، وأنه يزيد من مستوى الدهون في الدم" (١)

٢- أما عن الأطعمة فقد حرم الشرع الحنيف أطعمة من شأنها أن تُعلّل الإنسان وتجلب عليه الكثير من الأمراض والأوبئة، منها على سبيل المثال:

* لحم الخنزير، وقد جاء العلم الحديث فكشف لنا عن الحقائق التي تكمن وراء هذا التحريم: فأثبت أن الخنزير مرتع خصب لأكثر من ٤٥٠ مرضًا، منها ٥٧ مرضًا طفيلياً، تنتقل منه إلى الإنسان بعضها خطير بل وقاتل، ويختص الخنزير بنقل ٢٧ مرضًا وبائياً إلى الإنسان (٢)

* النهي عن أكل لحوم كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ (٣)، فلحوم هذه الحيوانات تتسبب في جلب ضررٍ بالغ بالإنسان، وقد كشف العلم الحديث عن جانب من هذه الأضرار، وبين: أن هناك طفيل خطير ينتشر بين الحيوانات المفترسة كالنمور، والأسود وغيرها، وطفيل ينتشر بين الطيور الجوارح، فإذا تناول الإنسان لحوم هذه انتقلت إليه العدوى (٤)، ومن

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. صالح بن أحمد رضا، مكتبة العبيكان، ط ١، ٢٠٠١، ص ٣٥١.
 (٢) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المطهرة، شحاتة صقر، دار الخلفاء الراشدين، ص ١٦٤.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الذبائح والصيد - باب لحوم الحمر الإنسية، ٧/ ٩٥، ح ٥٥٢٧.

(٤) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ٣٠٦.

هنا نقر بيقين أن الإعجاز النبوي سبق العلم الحديث بقرون في تقرير هذه الحقائق. * ومن الأطعمة التي حرمها الشرع الحنيف حفاظاً على النفس ووقاية لها من الأمراض والأوبئة، أكل لحوم الجلالة، وهي الدابة تأكل الأقدار، كالبراز وغيره، فقد روى الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَلَالَةِ أَنْ يُؤْكَلَ لَحْمُهَا ، وَيُشْرَبَ لَبْنُهَا ، وَلَا يُحْمَلَ عَلَيْهَا الْأُدْمُ وَلَا يَرْكَبَهَا النَّاسُ حَتَّى تُعْلَفَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(١)

وقد كشف العلم الحديث عن أسرار هذا النهي النبوي، حيث أثبت الدراسات والتجارب والأبحاث أن: الأقدار بيئة مناسبة لنمو الطفيليات والجراثيم الضارة، فإذا تناولها حيوان أو طير انتشرت هذه الجراثيم في دمه ولحمه، فإذا تناول إنسان لحم هذا الحيوان انتقلت إليه هذه الجراثيم فأصابته بالعلل^(٢)، وهنا تتجلى عظمة الإعجاز النبوي الشريف، في الكشف عن مخاطر هذه الأطعمة، في عصر لم يكن يعرف للتقدم والرقي طريقاً.

خامساً: الرياضة ودورها في الوقاية من الأمراض والأوبئة:

للرياضة أهمية كبرى في الوقاية من الأمراض والأوبئة، بل وفي علاج بعض الأمراض، وتعد رياضة المشي من الرياضات المهمة للإنسان، لذا حث عليها النبي ﷺ بستته القولية والعملية.

(١) المستدرک علی الصحیحین - کتاب البیوع - نهی رسول الله ﷺ عن الجلالة أن يؤكل لحمها ويشرب لبنها، ٣٩ / ٢ ح ٢٢٨٢، وقال: "حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ" الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ٣٠٦.

(٢) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المطهرة، شحاتة صقر، دار الخلفاء الراشدين، ص ١٣٣.

أما السنة القولية: فقد رغب النبي ﷺ في رياضة المشي، وحث عليها؛ ونظرًا لأهميتها فقد ربطها بالعبادة، ورتب عليها الأجر العظيم، أخرج الإمام البخاري بسنده، عن أبي موسى قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشَى، وَالَّذِي يَتَتَبَّرُ الصَّلَاةَ، حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ^(١). وأخرج الحاكم بسنده عن سهل بن سعد الساعدي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ: "بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٢) وأخرج الحاكم بسنده عن جابر قال: شَكَأ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْمَشْيَ فَدَعَا بِهِمْ، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالنَّسْلَانِ فَنَسَلْنَا فَوَجَدْنَاهُ أَخْفَ عَلَيْنَا"^(٣)

أما السنة العملية: فقد أخرج الإمام أبو داود بسنده عن عائشة أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبَقَةِ^(٤).

وقد حث الطب الحديث على المشي، وبيّن أهميته في الوقاية من الأمراض والأوبئة، بل وفي علاج الكثير منها، وأوصى بالمشي ما لا يقل عن عشرة آلاف خطوة في اليوم؛ لأنه يساعد على تجنب الأمراض، ويطيل العمر، وأكد أن عدم الحركة يصيب العضلات

(١) صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب فضل صلاة الفجر في جماعة، ١/١٣١، ح ٦٥١.

(٢) المستدرک على الصحيحين - كتاب الإمامة وصلاة الجماعة - بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة، ١/٢١٢، ح ٧٧٤، وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين".

(٣) المستدرک على الصحيحين - كتاب المناسك - التوديع عند السفر، ١/٤٤٣، ح ١٦٢٥، قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم".

(٤) سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب في السبق على الرجل، ٢/٣٣٤، ح ٢٥٧٨.

بالضمور مما يؤدي إلى اختلال عمل القلب وبالتالي ضعف الذاكرة والمناعة كما تفقد العظام عناصر مهمة في مكوناتها الكيميائية^(١).

سادسًا: اجتناب (كباثر الإثم والفواحش)، ودور ذلك في الوقاية من الأمراض والأوبئة: اجتناب كباثر الإثم والفواحش، وعلى رأسها "الزنا، واللواط، وإتيان المرأة الحائض وغيرها من الفواحش التي جلبت على المجتمع أمراضًا لا قبل له بها كمرض (الإيدز، والزهري، والسيلان، والهربس، وغيرها)

فقد حذر النبي ﷺ من هذه الفواحش فقال ﷺ كما عند ابن ماجة: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا...^(٢)

وحذر النبي ﷺ عن إتيان المرأة وهي حائض فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن أنس قال رسول الله ﷺ: "اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ"^(٣)

فقد بينت السنة النبوية المشرفة أن الانحطاط في هاوية الفواحش والرذائل يجلب على الإنسان الكثير من الأمراض والأوبئة الخطيرة التي تدمر الفرد، وبل وتدمر المجتمع لو

(١) الرعاية الصحية والرياضة في الإسلام، لحمد حسن رقيط، دار ابن حزم، ١٩٩٧، ص ١٥٩.

(٢) سنن ابن ماجة، أبواب الفتن، باب العقوبات، ١٤٩/٥، ح ٤١٣٦. قال البوصيري: "هذا حديث صالح للعمل به". انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، للبوصيري ت (٨٤٠هـ)، دار العربية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ١٨٦/٤ - .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها، ١/١٦٩، ح ٣٠٢.

تفاقم أمرها، وقد وضع النبي ﷺ ضوابط لوقاية المجتمع من هذه الرذائل، فحرم إطلاق النظر إلى النساء، ومنع الاختلاط، وحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ونهى عن التبرج، وحث القادر على الزواج، وغير القادر على الصوم. وبهذا يكون الإسلام قد حفظ المجتمع من هذه الجريمة النكراء، ووقاه من الأمراض والأوبئة الفتاكة.

سابعاً: الأدعية النبوية: ودورها في الوقاية من الأمراض والأوبئة:

هو من أعظم أبواب الوقاية والحفظ من الأمراض والأوبئة، التحصين بالأدعية بالأذكار الشرعية؛ لأن الجراثيم والميكروبات لا تسبب الأمراض إلا بإذن الله تعالى، فهو سبحانه القادر على دفعها، قال ابن حجر الهيتمي: "وَيَتَأَكَّدُ لِمَنْ أَصَابَهُ طَاعُونٌ أَوْ مَرَضٌ غَيْرُهُ أَنْ يُدِيمَ سُؤَالَ الْعَافِيَةِ"^(١) وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى بعض الأدعية التي تقي من الأمراض والأوبئة، ومن أهم هذه الأدعية:

ما أخرجه الترمذي عن عُمَانَ بن عَفَّانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ^(٢)

وعن عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَرَ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ^(٣)

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى» لأحمد بن محمد بن محمد بن حجر الهيتمي ت(٥٩٧٤)، المكتبة الإسلامية، ٤/٢٩.
(٢) جامع الترمذي - أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، ٣٩٦/٥، ح ٣٣٨٨، وقال حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم - كتاب الرقاق - باب أكثر أهل الجنة الفقراء، ٨/٨٨، ح ٢٧٣٩.

قال ابن الأثر: " العافية أن تسلم من الأسقام والبلايا وهي الصحة وضد المرض"^(١)
عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُدَامِ،
وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ^(٢)

قال المناوي: " ساء الأسقام": الأمراض الفاحشة الرديئة المؤدية إلى قرار الحميم
وقلة الأنيس أو فقده كالاستسقاء والسل والمرض"^(٣)

المطلب الثالث

المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة بعد وقوعها

لم تقف السنة النبوية عند حد بيان طرق الوقاية من الأمراض والأوبئة، إنما تخطت
ذلك كله فوضعت منهجاً قويمًا لمعالجة الأمراض والأوبئة، وكبح جماحها، ومن أهم
معالم هذا المنهج:

أولاً: الصبر، واحتساب الأجر عن الله:

أرشد النبي ﷺ المريض إلى التمسك بالصبر، واحتساب الأجر عند الله تعالى، وبيّن
أن الله سبحانه يأجر الصابرين ويحط عنهم خطاياهم جزاء صبرهم على ما ابتلوا به من
الأمراض والأوبئة. فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: مَا
يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذَى وَلَا
غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ^(٤).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ت(٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية-بيروت، ١٩٧٩م، ٣/٢٦٥.

(٢) سنن أبي داود - كتاب الصلاة - باب في الاستعاذة، ١/٥٦٩، ١٥٤٩.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ت(١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦، ٢/١٢٣.

(٤) صحيح البخاري - كتاب المرضى - باب ما جاء في كفارة المرض، ٧/١١٤، ح٥٦٤١.

ثانياً: الأدعية:

وهي علاج قوي لمن نزل به مرض أو وباء، قال الحافظ ابن حجر: " فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير"^(١)، فعلى من نزل به بلاء فعليه بملازمة الدعاء، فهو من أنفع الأدوية وهو كفيل بإذن الله تعالى برفع الأمراض والأوبئة. أخرج الإمام البزار بسنده عن أنسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مُّبْتَلِينَ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ^(٢).

قال الشوكاني: " في الحديث دليل على أن سؤال الله سبحانه وتعالى العافية يدفع كل بلية ويرفع كل محنة ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار فكأنه قال لهم كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها وهو الدعاء بالعافية واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم بهذه الدعوة الكافية"^(٣).

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى هذه الأدعية بسنته القولية والعملية، ومن أهمها:

١- أخرج الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا^(٤)

٢- وأخرج الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٠/١٣٣.

(٢) مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ت(٢٩٢هـ)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، ١٣/١٩٠، ح ٦٦٤٣.

(٣) تحفة الذاكرين، محمد بن علي الشوكاني ت(١٢٥٠هـ)، دار القلم - بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٤، ص ٤٦١.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب رقية النبي ﷺ، ٧/١٣٢، ح ٥٧٤٣.

لِلْمَرِيضِ: بِاسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا^(١)

ثالثاً: التداوي

إذا كان النبي ﷺ قد أرشد المريض إلى التمسك بالصبر واحتساب الأجر، ولزوم الأدعية، فإنه ﷺ لم يغفل الأخذ بالأسباب، بل حث المريض على الأخذ بالأسباب الدافعة للأمراض والأوبئة، ومن أهم هذه الأسباب التداوي:

فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً^(٢).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر، عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) وأخرج الترمذي بسنده عن أسامة بن شريك قال: قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ^(٤)

فهذه الأحاديث النبوية ترشد إلى:

- الحث على التداوي واستعمال الطب.
- أن الأدوية لا تنجح بذاتها بل بما قدره الله تعالى فيها.
- أن الدواء إذا جاوز الحد في الكمية أو الكيفية لا ينجع.

(١) المصدر السابق - كتاب الطب - باب رقية النبي ﷺ، ٧/١٣٣، ح ٥٧٤٥.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ٧/١٢٢، ح ٥٦٧٨.

(٣) صحيح مسلم - كتاب السلام - باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ٧/٢١، ح ٢٢٠٤.

(٤) جامع الترمذي - أبواب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ٣/٥٦١، ٢١٨٣.

- أن الله تعالى ما أنزل داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله.
- بعث همم العلماء والباحثين وشحذ عزائمهم، لاكتشاف الأدوية للأمراض المستعصية.

والنبي ﷺ إذ يأمر بالتداوي إنما يحرص على المحافظة على النفس وحمائتها من تفاقم الأمراض التي تحل بها، ولهذا أرشد النبي ﷺ إلى كثير من الأدوية النافعة، ومن أهمها:

١- العسل: وله فوائد جمة، فيه قال النبي ﷺ: الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرِبَةَ عَسَلٍ، وَشَرْطَةَ مِحْجَمٍ، وَكَيْتَةَ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّْ^(١).

٢- الحبة السوداء: وهي شفاء من كل داء، وفيها قال النبي: إِنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ السُّودَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا مِنَ السَّامِ. قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: الْمَوْتُ^(٢)

٣- الكمأة، وفيها قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْكَمَاءَةُ مِنَ الْمَنْ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ^(٣)

٤- الحجامة والقسط، وفيهما قال النبي ﷺ: إِنْ أَمَثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةَ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ^(٤)

قال الحافظ ابن حجر: "وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدر الطمث والبول ويقتل ديدان الأمعاء ويدفع السم وحمى الربع والورد ويسخن المعدة ويحرك شهوة الجماع

(١) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الشفاء في ثلاث، ٧/١٢٣، ح ٥٦٣٨.

(٢) المصدر السابق - كتاب الطب - باب الحبة السوداء، ٧/١٢٤، ح ٥٦٨٧.

(٣) فتح الباري، ١٠/١٤٨.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الحجامة من الداء، ٧/١٢٥، ح ٥٦٩٦.

ويذهب الكلف طلاءً، فذكروا أكثر من سبعة، وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي وما زاد عليها بالتجربة^(١)

رابعاً: العزل الصحي:

إذا انتشرت الأمراض والأوبئة وعمت المجتمع، حتى لكأنها نار تسري في الهشيم؛ ففي هذه الحالة لم يقف النبي ﷺ مكتوف الأيدي، بل وضع التدابير والاحتياطات اللازمة والكفيلة بواد المرض وحصره لحماية ووقاية المجتمع من براسنه، وهذه التدابير هي منع الشخص المصاب بمرض معد من الاختلاط بالآخرين، وذلك لحماية المجتمع من انتشار الوباء، ويعد النبي ﷺ هو أول من وضع هذا الإجراء الوقائي، فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: النبي ﷺ: لَا يُورِدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحٍّ^(٢). وأخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ^(٣)، وأخرج الإمام مسلم بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفَ رَجُلٌ مَجْدُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ ارْجِعْ فَقَدْ بَايَعْنَاكَ^(٤)

فقد حرص النبي ﷺ على محاصرة المرض حرصاً على عدم انتشاره، وهذا النظام له فوائد جمّة:

١. كبح انتشار الأمراض والأوبئة في المجتمع.

(١) فتح الباري، ١٠/١٤٨.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب لا هامة، ٧/١٣٨، ح ٥٧٧١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل - مسند أبي هريرة، ٢/٢٠٣١، ح ٩٨٥٣.

(٤) صحيح مسلم - كتاب السلام - باب اجتناب المجذوم ونحوه، ٧/٣٧، ح ٢٢٣١.

٢. الحماية للمجتمع من تفشي الأمراض فيه.

٣. توفير الرعاية الكاملة للمرضى، وتقديم الأدوية المناسبة لهم.

خامسًا: الحجر الصحي:

فإذا انتشر المرض في مجتمع ما فقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى فكرة الحجر الصحي وخلاصة هذه الفكرة: عزل أشخاصٍ بعينهم، أو أماكن، أو حيوانات، قد تحمل خطر العدوى، تتوقف مدته على الوقت الضروري لتوفير الحماية في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها^(١). وتعد السنة النبوية المشرفة هي أول من أسس لفكرة الحجر الصحي، فقد أخرج البخاري بسنده عن أسامة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّاعُونَ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا^(٢)

والمأمل في هذا الحديث، قد يجول بخاطره سؤال مفاده: قد نفهم الحكمة من منع الشخص المصاب من الخروج من أرض البلاء، لكن الحكمة من منع الشخص المعافى من الخروج من أرض الوباء غير واضحة.

يأتي الطب الحديث فيوضح لنا هذه الحكمة، كاشفًا عن الإعجاز النبوي الذي أبهر الجميع وهو " أن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملًا للميكروب، ولكن ليس كل من دخل الميكروب جسمه يصبح مريضًا، فكم من شخص يحمل جراثيم

(١) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩٩م، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان ٤/ ١٧٥، ح ٣٤٧٣.

المرض دون أن يبدو عليه أثر من آثاره، فالحمى الشوكية وحمى التيفود والسل والطاعون قد تصيب أشخاصًا عديدين دون أن يبدو على أي منهم علامات المرض، بل ويبدو الشخص سليم الجسم، ومع ذلك فهو ينقل المرض الى غيره من الأصحاء^(١) فيا ترى من الذي أخبر محمدًا ﷺ بهذا كله؟ وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، إنه الله الذي وسع كرسيه السماوات والأرض.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع بها عدة حكم:

أحدها: تجنب الأسباب المؤذية والبعد عنها.

الثاني: الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد.

الثالث: أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون.

الرابع: أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم.

الخامس: حمية النفوس عن الطيرة والعدوى؛ فإنها تتأثر بهما، فإن الطيرة على من تطير بها، وبالجملة ففي النهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحذر والحمية والنهي عن التعرض لأسباب التلف^(٢).

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، ط٢، ٢٠٠٣، ٦٠٨-٦٠٩.

(٢) زاد المعاد، ٤/٤٠.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خير الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أجمعين، وبعد:

فقد أتممت بفضل الله تعالى هذه الدراسة، وكان من أهم نتائجها:

١. أن فالمرض علةٌ تخرج الجسم عن حد الصحة والاعتدال.
٢. أن الوباء: هو المرض الذي ينتشر في مجتمع ما بسرعة وبصورة غير معهودة
٣. إن الأمراض والأوبئة لا يمكن لها أن تنتشر دون جرثومة تحملها من مريض إلى غيره، وهذه الجراثيم مخلوقات دقيقة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وهي: تنتقل من الشخص المصاب إلى غيره عن طريق الاتصال المباشر، وغير المباشر، أو عن طريق الحشرات والحيوانات الحاملة.
٤. أن للأمراض والأوبئة حكمًا منها: تمييز الخبيث من الطيب، والاتعاظ والاعتبار، وتكفير الخطايا ومحو السيئات، ورفع درجات المؤمنين الصابرين الصادقين.
٥. أن الإسلام يحث على التداوي بجميع الأدوية المتاحة خلا المحرم منها.
٦. أن السنة النبوية المشرفة قد سبقت جميع الأمم والشعوب والحضارات في العناية بصحة الإنسان وفي وضع منهج لا نظير له للوقاية من الأمراض والأوبئة.
٧. أن الالتزام بالمنهج النبوي في النظافة، والعبادة، والأطعمة، والأشربة، والرياضة، وخصال الفطرة، والبعد عن الفواحش: يحفظ الإنسان من الأمراض والأوبئة:
٨. أن الأدعية النبوية تحفظ من الأمراض والأوبئة، قبل وقوعها، وتدفعها بعد القوع.
٩. أن النبي ﷺ وضع منهجًا فريدًا لمعالجة الأوبئة في المجتمع، من أهم معالمه، الصبر، واحتساب الأجر عند الله تعالى، والالتزام بالأدعية.
١٠. أن الحجر والعزل الصحي لأصحاب الأمراض والأوبئة أمر قد سبق إليه الإسلام.

المراجع المصادر

- القرآن الكريم.
- الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد، ط، الدار المصرية، ط ٧، ٢٠٠٧ م.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. صالح بن أحمد رضا، مكتبة العبيكان، ط ١، ٢٠٠١ م.
- إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي، د. عبد الجواد الصاوي، ط، دار جيا، ط ١، ٢٠١٢ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي ت (٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد الزبيدي ت (١٢٠٥ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين الزيلعي الحنفي ت (٧٤٣ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط ١، ١٣١٣ هـ.
- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور ت (١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ.
- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ن (١٢٥٠ هـ)، دار القلم - بيروت - لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة - القاهرة، ط ١٩٩٧ م.

- التمهيد، لأبي عمر يوسف بن البرت (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى العلوي، مؤسسة القرطبة.
- التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف المناوي ت (١٠٣١هـ)، دار الفكر - بيروت أدمشق، ط ١، ١٤١٠.
- جامع البيان، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (٥٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ت (٧٩٥هـ)، تحقيق، محمد الأحمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠٠٤م.
- الرعاية الصحية والرياضة في الإسلام، لحمد حسن رقيط، دار ابن حزم، ١٩٩٧م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٩٩٤م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ت (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٩٩٥م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٦م
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت (٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
- السواك والعناية بالأسنان، عبد الله عبد الرزاق مسعود، الدار السعودية، جدة، ط ٢، ١٩٨٥م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة ت (٣١١هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- صحيح مسلم؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الفتاوى الفقهية الكبرى، لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ت (٩٧٤هـ)، المكتبة الإسلامية.
- الفروع، لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ت (٧٦٣هـ)، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الفقه الإسلامي وأدلته، لوَهَبَة بن مصطفى الزَّحِيلِي، دار الفكر-سوريّة-دمشق.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي ت (١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي بن منظور ت (٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤ هـ
- مجلة البيان، الإمارات، مقال بعنوان (غسل اليدين أساس في الوقاية من الأمراض والتصدي لانتشار العدوى)
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله المباركفوري ت (١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الهند، ط ٣، ١٩٨٤ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد ت (٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
- مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بالبزار ت (٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ت (٨٤٠هـ)، تحقيق: الناشر: دار العربية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد ت (٣٨٨هـ)،
المطبعة العلمية - حلب، ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس ت (٣٩٥هـ)، دار الفكر، ١٩٧٩ م.
- مكافحة الأمراض السارية، دكتور دافيد ل. هايمان محرر، جمعية الصحة العالمية،
القاهرة ط١٨، ٢٠٠٤ م.
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ليوسف الحاج أحمد، مكتبة
ابن حجر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣ م.
- الموسوعة الطبية الفقهية، لأحمد محمد كنعان، ط١، بيروت: دار النفائس ١٤٢٠هـ.
- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، المملكة العربية
السعودية، ط٢، ١٩٩٩ م.
- الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة
المطهرة، شحاتة صقر، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ت (٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت،
١٩٧٩ م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين
ت (١٣٩٩هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ت (٧٥١هـ)، دار الحديث - القاهرة،
ط٣، ١٩٩٩ م.

مواقع إلكترونية :

١. منظمة الصحة العالمية <http://www.who.int/ar>
٢. موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي، <https://kaheel7.net/?p=22468>
٣. موقع فيديو: الأمراض المعدية الأسباب والوقاية.

❖ <https://www.mayoclinic.org/ar>
 ❖ <https://www.albayan.ae/health/features/2019-11-03-1.3690188>
 ❖ <https://www.feedo.net/MedicalEncyclopedia/DiseasesDisordersTropicals/InfectiousDiseases.htm>
 ❖ <https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses>

فهرس الموضوعات

٧١٠	موجز عن البحث
٧١٢	مقدمة
٧١٢	إشكالية الدراسة
٧١٣	أهمية الدراسة
٧١٣	أهداف الدراسة
٧١٣	حدود الدراسة
٧١٣	خطة الدراسة
٧١٤	منهج الدراسة
٧١٥	المطلب الأول : الأمراض والأوبئة، والمسببات، والحكم، والآثار
٧٢٣	المطلب الثاني : المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة قبل وقوعها
٧٤٧	المطلب الثالث : المنهج النبوي في التعامل مع الأمراض والأوبئة بعد وقوعها
٧٥٤	الخاتمة
٧٥٥	المراجع المصادر
٧٥٩	فهرس الموضوعات